شرح القصيدة الميميَّة

لابن القيم الجوزيّة

الجــزء الثـاني

الشيخ سعد المزعل

١٥٠ وَخُذْ مِنْ تُقَى الرَّحـمَـنِ أعْظمَ جُنَّةٍ
لِـيَـوْمِ بِهِ تَـبْـدُو عِـيَاناً جَـهَـنَّمُ[(١)]

عليك أيهـا العبـد أن تتخـذ لنفسك وقـاية وجُنة تجعلهـا بينك وبين النار ، وهذه الوقـاية هي تقوى الله سبـحانه ؛ باتبـاع أوامـره ، واجتناب نواهيـه ، ومراقبته في السر والعلن .

١٥١ وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجسرُ مِـنْ فَوْقِ مَتْنِهَا
فَـهَاوٍ وَمَخْدوشٌ وَنَاجٍ مُـسَلَّـمُ[(٢)]

يوم القيامـة يؤتى بجهنم تسحبـها الملائكة ، لها سبـعون ألف زمام ، لكل زمام سبـعون ألف ملك[(٣)] ، ثم يوضع عليـها جسـر هو الصراط . لما روى أبو هريرة وحذيفـة رضي الله عنهما قالا: قـال رسول الله ﷺ: (يجمع الله تبارك وتعالى الناس . . . وترسـل الأمانة والرحم ، فتقومـان جنبتي الصراط يميناً وشـمالاً ، فـيمـر أولكم كالبـرق ، ثم كـمرّ الريح ، ثم كـمر الطيـر ، وشد الرجال ؛ تجـري بهم أعمالهم . ونبيكم قـائم على الصراط يقول: رب

(١) جنة: وقـاية . عِيـاناً: رآه عيـاناً: لم يشك في رؤيتـه ، ورأيـت فـلاناً عـيـاناً: أي مواجهة .

(٢) متنهـا: ظهرها . هـاوٍ: سقط إلى أسـفل . مـخـدوش: خدشـه: خـمـشه ، وخـدش الجلد: مزقه .

(٣) الحديث رواه مسلم: ٢٨٤٢ .

سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ؛ فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار)[1].

فالذي كان يتقي ربه ويعمل بما أمره الشرع واتبع الرسول ﷺ فإنه سوف يعبر ، ولكن العبور هذا على حسب العمل ؛ فمنهم من ينجو سليماً ، ومنهم من تخدشه هذه الكلاليب وينجو ، ومنهم من يهوي في جهنم .

١٥٢ ويأتي إلهُ العَالَمينَ لوَعْدِه
فيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العبَاد وَيَحْكُمُ[2]

(ويأتي إله العالمين) المجيء صفة من صفات الله تبارك وتعالى أثبتها لنفسه في كتابه؛ مثل قوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾[3]؛ وقوله سبحانه: ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾[4]. وأثبتها له رسوله ﷺ[5] في سنته؛ فنقول: هو إتيان يليق به سبحانه لا يشبه إتيان المخلوقين لأنه: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[6].

وإتماماً للفائدة أنقل لك بعض ما قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله [7]:

« وهذه الآية ، وما أشبهها ، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية ؛ كالاستواء ، والنزول ، والمجيء ، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه ، وأخبر بها عنه رسوله ﷺ .

---

(١) رواه مسلم: ١٩٥ . والحديث معناه عند البخاري: ٨٠٦ ، وأحمد: ٢/ ٥٣٤ .

(٢) يفصل: يقضي بينهم .

(٣) سورة البقرة: ٢١٠ .

(٤) سورة الفجر: ٢٢ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير: ١/٢٤٨ ، تحت تفسير آية: ٢١٠ ، من سورة البقرة .

(٦) سورة الشورى: ١١ .

(٧) تفسير ابن سعدي الذي اسمه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/١٨٧.

فيثبتونها لمعانيها على وجه يليق بجلال الله وعظمته ، من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل . خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم ؛ من الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، ونحوهم ، ممن ينفي هذه الصفات ، ويتأول لأجلها الآيات ، بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله ، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب » . إلى آخر ما قال ، رحمه الله تعالى .

قول المصنف (لوعده): يعني الذي ذكره في كتابه في آيات عدة ؛ أن الخلق سوف يبعثون يوم القيامة ، وتنصب لهم الموازين ، وتوضع الكتب ، وتتطاير الصحف .

١٥٣ وَيأخُذُ للمظلوم رَبُّكَ حَقه
فَيَا بُؤسَ عَبْد للخَلائق يظلمُ[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ؛ فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه)[٢].

الله سبحانه هو أعدل من عدل ، وأحكم من حكم ، ومن عدله سبحانه أن يحكم بين البهائم . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[٣].

١٥٤ وَيُنْشَرُ ديوانُ الحسَاب وَتُوضَعُ الـ
مَوازينُ بالقسْط الذي ليْسَ يَظلمُ[٤]

يشير إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا

(١) بؤس: بئس بؤساً: اشتدت حاجته (القاموس) .
(٢) رواه البخاري: ٦٥٣٤ ، ١١/٣٩٥ ، وأحمد: ٢/٥٠٦ .
(٣) رواه مسلم: ٢٥٨٢ ، والترمذي: ٢٤٢٠ ؛ وأحمد: ٢/٢٣٥ .
(٤) ينشر: يبسط ، وهو خلاف الطي . القسط: العدل .

تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة ... ثم قال: وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع يقول سبحانه: ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾[2][3].

١٥٥ فلا مُجْرِمٌ يَخْشى ظلامَةَ ذَرَّةٍ
وَلا مُحْسنٌ منْ أجْره ذاكَ يُهْضَمُ[4]

المجرم الذي فعل المنكرات، وأتى بالطامات، فإنه سوف يعاقب على قدر جرمه؛ فليس لأنه أجرم تصب عليه التهم، ويرمى بما لم يفعل. كلا فإن هذا ليس من عدل الله سبحانه، بل كلٌ يعاقب بقدر ما اقترفت يداه؛ يقول سبحانه: ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[5].

وكذلك الذي عمل الصالحات، وأشغل نفسه بالقربات، فإن الله جل في علاه لا يضيع له شيئاً من عمله، وإنما يضاعفه وينميه[6] له، لأنه جواد.

١٥٦ وَتشْهَدُ أعضاء المسيء بما جَنَى
كَذَاكَ على فيه المُهَيمنُ يَخْتمُ[7]

(١) سورة الأنبياء: ٤٧ .

(٢) سورة الكهف: ٤٩ .

(٣) الحديث رواه البخاري: ٤٦٨٤ ، ٨/٣٥٢ .

(٤) ظلامة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذه منك (مختار الصحاح).
ذرة: أصغر النمل. يهضم: ينقص من حقه.

(٥) سورة الأنعام: ١٦٠ .

(٦) انظر الحديث تحت البيت رقم: ١٥٩ .

(٧) جنى: جنى الذنب عليه يجنيه جناية: جره إليه.
المهيمن: من أسماء الله تعالى في معنى المؤمن مَن آمن غيره من الخوف (القاموس).
يختم: يطبع عليه فلا يستطيع الكلام.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾[1].

إن العاصي المجرم إذا أراد أن يكذب على نفسه كما تعود في الدنيا أن يكذب على عباد الله ، فإنه يوم القيامة يُغلق الفم ولا ينطق اللسان ؛ وإنما الكلام يومئذ لبقية الجوارح والأعضاء التي كانت صامتة في الدنيا . أما اللسان الذي كان لا يتحرك بذكر الله ، وإنما كانت حركته بالفاحش من القول ؛ فإنه ليس له دور يذكر يوم القيامة .

١٥٧ فيَا ليْتَ شعْري كَيْفَ حَالكَ عنْدَمَا
تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِينَ وَتُقْسَمُ

١٥٨ أتَأخُذُ باليُمْنَى كتَابَكَ أمْ تَكُنْ
بالأخْرَى وَرَاءَ الظهْرِ منْكَ تُسَلِّمُ

تمنٍّ ممزوج بإشفاق على هيئة استفسار عن حالك أيها العبد ، يوم القيامة عندما تتطاير الكتب يوم العرض الأكبر وتوزع عليهم . هل أنت ممن عمل في الدنيا بطاعة الله سبحانه ، واقتفى أثر الرسول ﷺ ، ووحد الله وأخلص له في كل شيء ؟ فهذا سوف يأخذ كتابه بيمينه ، ويكون فرحه هو الفرح الحقيقي الذي لا يوصف ، بل ينادي على رؤوس الأشهاد: ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾[2].

أما الفريق الآخر الذي لم يرفع لهذا الأمر رأساً ، بل كان همه أن يأكل ويتمتع وينام مثل البهائم ، بل هو أضل ؛ لأن البهائم خلقت لهذا ، وهو خلق لشيء أعظم فضيعه . فهذا يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره ؛ زيادة له في الإهانة والتنكيل: ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ﴾[3].

---

(١) سورة يس: ٦٥ .

(٢) سورة الحاقة: ١٩ .

(٣) سورة الانشقاق: ١٠ـ١١ .

ويقول سبحانه عن أولئك يوم القيامة: ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ﴾[١].

١٥٩ وتَقْرأ فيه كُلَّ شَيء عَملتَهُ
فَيُشرقُ منكَ الوَجهُ أوْ هُوَ يُظلمُ

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾[٢]. الذي عمل الصالحات سوف يرى أن الله سبحانه قد ضاعفها له أضعافاً كثيرة ، ولم يتوقع أن له مثل هذه الحسنات ، ولا أقل منها بكثير ، فيسر عندئذ ويشرق وجهه فرحاً وبهجة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه ـ وإن كانت تمرة ـ فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)[٣].

وأما المكذب العاصي فلا يرى في صفحاته إلا الأعمال القبيحة التي اقترفها في الدنيا ، عندها يحزن حزناً عميقاً ، وتأخذه الكآبة ، ويظلم وجهه شفقة منه على نفسه من العذاب ، وندماً على ما صدر منه .

١٦٠ تَقُولُ كتَابي فاقْرَءوهُ فإنَّهُ
يُبَشّرُ بالفَوْز العَظيم ويُعْلمُ[٤]

١٦١ فإنْ تَكُن الأخْرَى فإنّكَ قَائلٌ
ألا ليْتَني لمْ أوتَهُ فهْوَ مُغْرَمُ[٥]

---

(١) سورة الحاقة: ٢٥ .

(٢) سورة الجاثية: ٢٩ .

(٣) رواه البخاري: ١٤١٠ ، ومسلم: ١٠١٤ .

(٤) يعلم: يخبر .

(٥) مغرم: قال في لسان العرب: وفي حديث معاذ: ضربهم الله بذل مغرم أي لازم دائم، يقال فلان مغرم بكذا: أي لازم له مولع به .

يشير إلى قول الحق سبحانه في كتابه العزيز عن أصناف الخلق يوم القيامة: ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾[1] ؛ ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ﴾[2] .

الذين يكرمهم الله يوم القيامة ، ويدخلهم في رحمته ، فإنهم يستلمون الكتاب باليمين ويفرحون به أشد الفرح ؛ كيف لا ؟ وهو يبشرهم بالفوز العظيم ، ويخبرهم أنهم من السعداء .

أما الذين خذلهم الله ، فإنهم يستلمون الكتاب بالشمال ، ويحزنون به أبلغ الحزن ، ويتمنون أنهم لم يستلموه ولم يروه ؛ لأنه يخبرهم بمصيرهم المشؤوم في دركات الجحيم . ويحاولون أن يبتعدوا عنه ، لكنه ملازم لهم لا يفارقهم ، حتى يدخلهم النار .

١٦٢ فبَادرْ إذاً مَا دَامَ في العُمْرِ فُسْحَةٌ
وَعَدْلُكَ مقبولٌ وَصرْفُكَ قيِّمُ[3]

بعد أن عرفت أن الحياة جسر عبور للآخرة ، وهي لحظات سوف تنقضي ثم ترد إلى الديان سبحانه لترى أمامك كل ما قدمت . وعرفت أن المقصر هنا كيف يندم هناك ، ويتمنى أنه لو يُرد إلى الدنيا فيعمل من الطاعات كي ينال رضا الله سبحانه: ﴿ قال رب ارجعون ، لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾[4] . إذا عرفت هذا وعقلته ؛ تصور نفسك أنك من يقول هذا . فها أنت قد عدت إلى الدنيا ، فبادر إلى مرضات الله سبحانه . بادر إلى فعل ما أمرت به ، واجتنب كل ما نهيت عنه ، ولا تحاول أن تلتمس لنفسك الأعذار من هنا وهناك ، فلربما قبل منك العذر في الدنيا ويكون

---

(١) سورة الحاقة: ١٩ .

(٢) سورة الحاقة: ٢٥ .

(٣) فبادر: أسرع . فسحة: سعة . عدلك: رجل عدل: أي رضا وَمَقْنَع . صرفك: الصرف: التوبة .

(٤) سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠ .

مردودا يوم القيامة ؛ لأن المؤاخذة في الدنيا على الظاهر ، بينما في الآخرة يخبرك الله سبحانه بما يجول في خاطرك .

قوله: (وعدلك مقبول ...) يعني: لو تبت ورجعت إلى الله سبحانه فسوف يقبلك ويتوب عليك .

١٦٣ وَجِدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا
فَفِي زَمَنِ الإمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ

أكثر من الطاعات ما دمت تستطيع أن تفعلها ، لأنك سوف تهرم ويصعب العمل ؛ فتندم في شيخوختك وتقول: ليتني عملت قبل أن يضعف حالي وتذهب قوتي ، وفيه إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)[1].

١٦٤ وَسِرْ مُسْرِعاً فالموتُ خلفَكَ مُسرِعٌ
وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ ومَهْزَمُ

أسرع أنت في عمل الطاعات والإكثار منها ، لأن الموت خلفك يطلبك ، ولا محالة أنه لاحق بك ، فلم ينجُ أحد قبلك ، وهو شيء كتبه الله على الخلق ؛ قال تعالى: ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾[2].

١٦٥ فَهُنَّ المَنَايَا أيَّ وَادٍ نزَلْتَهُ
عَلَيْها القُدُومُ أوْ عَلَيكَ سَتُقْدِمُ

يقول المولى جل في علاه: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾[3] . فالموت لا بد منه لكل حي ، إلا الحي القيوم ، فلِمَ يجبن الإنسان ويترك الصدع بالحق ؟ أو يخاف الموت ولا يذهب إلى الجهاد في سبيل الله ؟ فما دام

(١) رواه الحاكم: ٣٠٦/٤ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) سورة الزمر: ٣٠ .

(٣) سورة النساء: ٧٨ .

الموت حالّ بك إن قدمت عليه . وإن تقاعست وجلست فإنه هو سوف يقدم عليك ؛ يقول سبحانه: ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾[1] .

١٦٦ وَمَا ذاكَ إلا غَيْرَةً أنْ يَنالَهَا
سوى كُفْئها والرَّبُّ بالخلق أعلمُ[2]

١٦٧ وإنْ حُجِبَتْ عَنَّا بكُلِّ كَريهَةٍ
وَحُفَّتْ بما يُؤْذي النُّفُوسَ وَيُؤْلِمُ[3]

إن الله سبحانه حف الجنة بالمكاره ، وجعل ثمنها التضحية بالنفس ، والمال ، والوقت ، وسهر الليل بالقيام ، وظمأ الهواجر بالصوم ؛ كل هذا حتى يدخلها من طلبها بصدق لا طلب ادعاء فقط ، فكل يدعي وصلاً بليلى.

١٦٨ فلله مَا في حَشْوِهَا مِنْ مَسَرَّةٍ
وأصْنافِ لذَّاتٍ بها يُتَنَعَّمُ[4]

يتعجب المصنف ، رحمه الله ، مما أعد الله سبحانه بداخل الجنة من النعيم، ووسائل الراحة والبهجة .

١٦٩ وَلله بَرْدُ العَيْش بَيْنَ خيامِهَا
وَرَوْضَاتها والثَّغْرُ في الرَّوْض يَبْسَمُ[5]

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤ .

(٢) غيرة: الغيرة: الحمية والأنفة (النهاية في غريب الحديث) .
الكفء: المساوي ، يعني: لا يحصل عليها غير الذي يستحقها .

(٣) حجبت: سترت . كريهة: الكره: المشقة ، يعني جُعل بين الإنسان وبين الجنة سواتر من الأشياء التي لا ترغب النفس أن تفعلها .

(٤) فلله: للتعجب . حشوها: الحشو: مليء الوسادة ، يعني: ما بداخلها (ترتيب القاموس) .

(٥) الثغر: الفم (ترتيب القاموس) .
برد العيش: عيش بارد: هنيء (ترتيب القاموس) .

ويتعجب كذلك من العيش الرغيد في خيامها وبساتينها ، ومن الابتسامة التي تتولد من النظر إلى ما يريح النفس وينعشها .

١٧٠ وَلله وَاديـهَا الذي هُوَ مَوْعدُ الـ
مَزيد لـوَفْد الـحُبّ لـوْ كُنْتَ منْهُمُ(١)

١٧١ بـذَيَّالـكَ الـوادي يَـهيـمُ صَبَابَةً
مُحبٌّ يَـرى أنَّ الـصَّبابة مَغْنَمُ(٢)

ويتعجب من الوادي الذي يجعله الله سبحانه المكان الذي يجتمع فيه أهل الجنة ، ليوم المزيد ، عندما يدعوهم الحق جل في علاه لزيارته .

فكل مسلم تتوق نفسه ، ويتقطع شوقاً إلى ذلك الوادي ، ويرى أن الشوق إليه والحب فيه غنيمة وفوز .

١٧٢ وَلله أفْراحُ الـمحبِّين عندَمَا
يُخاطبُهمْ منْ فوقهمْ وَيُسَلمُ(٣)

ما أشد فرحة المؤمنين وأعظمها بعد دخولهم الجنة ؛ إذ يكلمهم ربهم سبحانه وتعالى ويسلم عليهم .

١٧٣ ولله أبْصَارٌ تَرى الله جَهْرَةً
فلا الضَّيْمُ يَغْشَاهَا ولا هي تَسْأمُ(٤)

يتعجب من تلك الأبصار التي تنظر إلى الله سبحانه وتعالى . بالإضافة إلى ما لها من النعيم الذي لا يوصف ولا يتطرق إليه النقص ولا الفناء ،

---

(١) موعد المزيد: يأتي شرحه تحت البيت رقم: ٢٠٢ .

(٢) بذيالك: ذياك: تصغير (ذا) اسم الإشارة والكاف حرف خطاب ، ويعرب اسم الإشارة (معجم الشوارد النحوية) .
الصبابة: الشوق .

(٣) مخاطبة الله لأهل الجنة: انظر شرح البيت رقم: ٢٠٢ - ٢٠٧ ، أما التسليم: انظر شرح البيت رقم: ٢١٠ .

(٤) الضيم: النقص أو الظلم (ترتيب القاموس) .
يغشاها: يأتيها (النهاية في غريب الحديث) . تسأم: تمل .

وهم في العيش الرغيد الذي لا سآمة معه أبداً .

اعلم أن هذا البيت والذي قبله الذي يثبت فيهما المصنف بعض صفات الله سبحانه ؛ كأن يراه المؤمنون بأبصارهم يوم القيامة ، وتكليم أهل الجنة ، وغيرها من الصفات الثابتة التي لم يتطرق إليها المصنف ، هي على حقيقتها؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة [1] .

١٧٤ فيا نظرةً أهْدَتْ إلى الوَجْه نضْرَةً
أمِنْ بَعْدها يَسْلو المُحبُّ المُتَيَّمُ [2]

وهذه النظرة التي ينظرها العبد إلى ربه ، تبارك وتعالى ، تجعله يزداد حسناً وبهاءً ، ويزداد حبه لربه سبحانه ؛ فلا يغفل عنه ولا ينساه .

١٧٥ وَلله كَمْ مِنْ خَيرَةٍ إنْ تَبَسَّمَتْ
أضَاءَ لهَا نُورٌ منَ الفَجْر أعْظَمُ [3]

يتعجب من الحور العين التي إذا تبسمت خرج منها نور أعظم من نور الفجر . وفيه إشارة إلى ما روى ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: **(سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها)** [4] .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: **(لروحة في سبيل**

(١) انظر شرح البيت رقم: (١٥٢) .
(٢) نظرة: من النظر بالأبصار . نضرة: النعمة والحُسْن (ترتيب القاموس) .
يسلو: ينسى . المتيّم: استعبده الهوى حتى ذهب بعقله . لسان العرب .
(٣) خيرة: كثيرة الخير ، يعني من الحور العين .
تبسمت: التبسم أقل الضحك وأحسنه .
(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٨/٢٥٣ ، و: ١١/١٦٣ .
وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحاكم في الكنى والخطيب في التاريخ ورمز له بالضعف .
قال المناوي في فيض القدير: ٤/١٠٥: وفيه حلس بن محمد ، قال الذهبي في الضعفاء: مجهول ، وقال في الميزان: إن الحديث باطل .
قال الألباني في ضعيف الجامع: موضوع .

الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً)[1] .

١٧٦ فَيا لذَّةَ الأبْصار إنْ هيَ أقْبَلَتْ
وَيا لذَّةَ الأسْماع حين تكَلَّمُ

الذي ينظر إليها يستمتع ويجد لذة ، وكذلك يتلذذ بالحديث معها ؛ فهي خيّرة ، وكلها خير .

١٧٧ وَيا خجْلةَ الغُصْن الرَّطيب إذا انْثَنَتْ
وَيا خَجْلة الفَجْرَيْن حينَ تَبَسَّمُ[2]

إنها جميلة وطويلة ، وإذا مشت تمايلت باسترخاء ، وعندما تتبسم يسطع النور من وجهها كأنه نور الفجر .

١٧٨ فإنْ كُنْتَ ذَا قلبٍ عَليل بحُبِّها
فلمْ يَبْقَ إلا وصْلها لكَ مَرهَمُ[3]

فإذا كان قلبك قد تعلق بها ومرض من شدة الشوق إليها ، فليس لك دواء ولا حيلة إلا أن تسعى وتجد وتجتهد لكي تؤهل نفسك لنيلها والحصول عليها.

١٧٩ وَلا سيمًا في لثْمها عندَ ضَمّها
وَقَدْ صَارَ منْهَا تَحْتَ جيدكَ معْصَمُ[4]

---

(١) رواه البخاري: ٢٧٩٦ ، ورواه مسلم: ١٨٨٠ مختصراً .

(٢) خجلة الغصن: خجل النبت: طال والتف .
والخَجَلُ: الاسترخاء من الحياء .
الغصن الرطيب: ناعم (لسان العرب) .

(٣) عليل: مريض (المعجم الوسيط) .
مرهم: دواء مركب للجراحات . (ترتيب القاموس) .

(٤) سيمّا: سي: بمعنى مثل و(لا سيما) نستخدمه عند التعبير عن أن شيئاً يفْضُل الآخر في قدره (معجم الشوارد النحوية) . لثمها: لثم فاها: قبلها .
الجيد: العنق . المعصم: اليد ، أو موضع السوار من اليد (ترتيب القاموس) .

وأفضل من ذلك عندما تضمها إليك وتقبل فمها ، وقد وضعت يدها أو ساعد يدها تحت عنقك .

١٨٠ تَراهُ إذا أبْدَتْ لهُ حُسْنَ وَجْهِهَا
يَلذُّ بِهَا قبْل الوصَال ويَنْعَمُ(١)

١٨١ تَفَكَّهُ منها العَيْنُ عندَ اجْتلائها
فَواكهَ شتّى طلعُها ليْسَ يُعْدَمُ(٢)

تجده بمجرد أن تبدو له وتظهر ، فإنه يتلذذ ويستمتع بالنظر إليها قبل أن تصل إليه ، أما إذا تغشاها فتلك لذة أخرى .

١٨٢ عَناقيدَ منْ كَرْمٍ وتُفَّاحَ جَنَّةٍ
ورُمَّانِ أغْصَانٍ بها القَلبُ مُغرمُ(٣)

١٨٣ وللوَرْد مَا قَدْ ألبسَتْهُ خُدُودها
وللخَمْرِ ما قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ والفَمُ

١٨٤ تَقسَّمَ منْها الحُسْنُ في جَمْعٍ واحدٍ
فيا عَجَباً مِنْ واحدٍ يَتقسَّمُ

١٨٥ لها فِرَقٌ شَتّى منَ الحُسْنِ أجْمَعَتْ
بجُمْلتها أنَّ السُّلوَّ مُحَرَّمُ(٤)

ذكر المصنف ، رحمه الله تعالى شيئاً يسيراً من صفات نساء الجنة ، ولا شك في أن حقيقة الأمر أكبر من ذلك بكثير ، فمهما بالغ الإنسان في وصف الحور العين ، فإنه لا يستطيع أن يعطي صورة كاملة عنهن ، وإنما

(١) أبدت: أظهرت . الوصل: ضد الهجران ، ويكون في عفاف الحب ودعارته . (لسان العرب) .

(٢) تفكه: تتمتع . اجتلائها: عرضها عليه مجلوة ، يعني واضحة . المجلي: الواضح .

(٣) عناقيد: جمع عنقود العنب (مختار الصحاح) .
مغرم: أسير الحب (ترتيب القاموس) .

(٤) السلو: سلاه: هجره ونسيه .

يقرب إلى الأذهان بعض صفاتهن .

روى البخاري: (٣٢٤٥)، ومسلم: (٢٨٣٤) (١٧) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (أول زمرة يدخلون الجنة .. ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن) .

كيف تستطيع أن تصف مخلوقة من شدة حسنها يُرى مخ ساقها ؟ وهذا مصداق لما أخرج البخاري: (٣٢٤٤)، ومسلم: (٢٨٢٤) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (قال الله عزَّ وجلَّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) .

١٨٦ تُذكّرُ بالرَّحْمنِ مَنْ هُو ناظرٌ
فينْطقُ بالتَّسْبيح لا يَتلعْثمُ[1]

من المعتاد عند أي إنسان أنه إذا رأى شيئاً فوق المعتاد ، وقد أعجبه منظره، أن يقول: سبحان الله . وهذه العبارة تخرج منه تلقائياً من غير تكلف ولا إعداد . فالذي يرى الحورية وما هي عليه من حسن وجمال ، بمجرد أن يقع عليها بصره تجده يقول: سبحان الله ؛ منبهراً مما يرى من عظمة ذلك الجمال .

١٨٧ إذا قابلتْ جَيْشَ الهُمُوم بوَجْهها
تَولى على أعْقَابه الجَيْشُ يُهْزَمُ[2]

يقول المصنف ، رحمه الله تعالى ، بأن الذي يجالس الحورية ويضاجعها، لو أنه هجمت عليه الهموم والأحزان كهجوم الجيش ، فإن الهموم تنهزم وتذهب ولا يبقى لها أثر .

١٨٨ ولمّا جَرَى مَاءُ الشَّباب بغصْنها
تَيَقَّنَ حَقّاً أنَّهُ ليسَ يَهْرَمُ[3]

---

(١) يتلعثم: تلعثم: تمكّث وتوقف وتأنى (ترتيب القاموس) .

(٢) تولى على أعقابه: رجع خاسراً إلى الوراء .

(٣) الهرم: أقصى الكبر (ترتيب القاموس) .

لما خلقها الخالق سبحانه وتعالى ، وأصبحت في ريعان شبابها ، فإنها سوف تبقى على هذه الحالة أبد الدهر ، ولا يعتريها الكبَر ولا الشيخوخة .

١٨٩ فيا خَاطِبَ الحسْنَاء إنْ كُنْتَ رَاغباً
فهذا زَمَانُ المَهْر فَهْوَ المُقَدَّمُ

الذي يرغب بأن يكون من خطاب أولئك الكواعب الأتراب والحور العين، فلا بد له من تقديم المهر ، والمهر لا بد أن يكون مقدماً (عاجلاً) هنا في الحياة الدنيا ؛ فيجعل له رصيداً عند الله سبحانه ، فيكثر من عمل الصالحات، وتقديم القربات ؛ فإنه وقت تقديم المهر .

١٩٠ وكُنْ مُبْغضاً للخَائنات لحبّها
فتحظى بها منْ دُونهنَّ وتَنْعمُ(١)

يحذرك من الوقوع في الزنى ويأمرك أن لا تحب التي تخون حبيبها وتأتيك ، فعليك أن تبغضها وتبتعد عنها وعن كل ما يبعدك عن الله سبحانه؛ عسى أن تحظى بالحور الجميلات اللاتي لا يعرفن الخيانة ؛ إذ هن: (قاصرات الطرف) .

١٩١ وكُنْ أيّماً ممَّنْ سوَاهَا فإنَّها
لمثْلكَ في جنَّات عَدْنٍ تَأيَّمُ(٢)

هذا البيت ، والذي قبله ، فيهما إشارة ولو من بعيد إلى الترغيب عن الزواج ، وإذا حملناهما على هذا المحمل ، ولا شك في أنه مخالف لمبادئ الإسلام الذي يحث على الزواج ، وعلى كثرة الإنجاب ؛ ولكن من الممكن حمل المعنى على ترك ذلك في الحرام ، والإقبال عليه في الحلال . أي إن الذي لا يستطيع الحصول عليه من الحلال فلا بد له أن يئيم نفسه ، لعل الله أن يرزقه من تأيمت له في الجنة .

---

(١) لحبها . الحِب بكسر الحاء: الحبيب . فتحظى: حظيت المرأة عند زوجها: سعدت ودنت من قلبه وأحبها (لسان العرب) .

(٢) الأيم: الذي لا زوج له ؛ رجلاً كان أو امرأة .

١٩٢ وَصُـمْ يَوْمَـكَ الأدْنـى لعَلكَ في غَدٍ
تَـفُـوز بعـيـد الفـطـر والنّـاسُ صُـوَّمُ

أكـثر من صـيام التطوع فـي الدنيا ، فـإنك اليوم تـستطيع أن تقـدم عمـلاً صالحاً ، أما يوم غدٍ فـإنك لا تدري ما الله صانع بـه ؛ قد يأتي وأنت من أصحاب القبور ، فاغتنم يومك هذا ، واظمأ في نهاره بالصوم ، واسهر ليله بالقـيـام ، لعلك تفـوز يوم القـيـامة ؛ حـين يعطش الناس وأنت تشـرب من الحوض ، وأنت تتنعم في جنات ونهـر ، وغيرك يتحسـر على قطرة ماء وما هو بمحصلها .

١٩٣ وأقْـدمْ وَلا تـقْـنَعْ بـعْـيـش مُـنَـغَّص
فـمـا فازَ بالـلذّات مَـنْ ليْـسَ يُقْدمُ(١)

كن شجـاعاً في الإقـدام على عمل الطاعات ، وأكـثر من فـعل الطاعات والقـربات ، ولا تركن إلى الدنيـا التي كل مـا فـيهـا منغص ممزوج بالأكـدار والأحـزان . وشمـر عن سـاعـد الجد ، واجـعل الآخـرة همك ؛ لعلك إن فعلت هذا تنل رضـوان الله سبحانه . أمـا القاعد المتكاسل المتـخاذل فلم يكن من الفائزين ، وإنما هو من النادمين.

١٩٤ وَإنْ ضَـاقَـت الدُّنْـيا عَلَيْكَ بـأسْرها
وَلَـمْ يَكُ فـيـهـا مَـنْـزلٌ لـكَ يُـعْـلـمُ

١٩٥ فـحَـيِّ عَلى جَـنّـَات عَـدْنٍ فـإنَّـهـا
مَـنَـازلُـكَ الأولـى وَفـيـها الـمُـخَـيَّـمُ

روى مـسلم (٢٩٥٦) ، عن أبي هريرة رضـي الله عنه ، قـال: قـال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) .

المؤمن في الحياة الدنيا مكلف بأوامـر الشرع ، لا يستطيع أن يخرج عنها؛ فلا يستطيع أن يفعل ما نهاه الشرع عن فعله ، ولا يستطيع ألا يفعل ما أمره الشـرع بفـعلـه ؛ فكأنه مـقـيـد بحـدود وضـعـهـا الـشـارع له لا يجـوز له أن

---

(١) أقدم: الإقدام: الشجاعة . منغَّص: مكدَّر .

يتخطاها، فإنه في سجن ؛ فإذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ، ما عليه إلا أن يتذكر أنه مخلوق له خالق ، وأنه عبد له رب يأمره وينهاه ، وجعل جزاء المطيع الفوز بالجنات وجزاء العاصي جهنم . فإنه يسلي نفسه بما أعد الله سبحانه لأهل طاعته ، ويسلي نفسه بالمنزل الأول حينما أخرجه الله من صلب آدم وأشهده على نفسه .

ويأمرك المصنف أن تقبل على الجنات ؛ والإقبال عليها يعني الإقبال على الأعمال التي يحبها الله سبحانه ، لكي يقبلها منك ، ثم يثيبك بعد ذلك الجنات التي وعدك إياها ؛ وهي المنازل الحقيقية للإنسان ، لأنها المكان الدائم الذي لا يزول .

١٩٦ وَلَكِنَّنا سَبْيُ العَدوِّ فَهَلْ تَرى
نَعُودُ إلى أوْطانِنَا وَنُسَلِّمُ(١)

يمثل الناس في الدنيا كمثل شخص أخذه العدو أسيراً وحبسوه عندهم ، فهو يترقب الساعة التي يُؤْذَن له فيها بالذهاب إلى وطنه والسلام على أهله ؛ فالإنسان في الدنيا هكذا: وطنه الجنة ، وأهله الحور العين . فهو يواصل عمل الليل بالنهار حتى يؤهل نفسه لكي يذهب إلى وطنه وأهله .

١٩٧ وَقَدْ زَعَمُوا أنَّ الغريبَ إذا نأى
وَشطتْ بِهِ أوْطانُهُ فهوَ مُؤْلَمُ(٢)

١٩٨ وأيُّ اغْتِرابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنا التي
لها أضْحَتَ الأعْداءُ فينَا تَحكَّمُ(٣)

قالوا إن الإنسان إذا بعد عن وطنه وأهله ، وأصبح غريباً بين أناس لا يعرفهم ، فإنه لا تطمئن نفسه ، ولا يشعر بالراحة والاستئناس ، بل إن

---

(١) السبي: الأسر .

(٢) نأى: بعد . شطت: بعدت (ترتيب القاموس) .
التألم: التوجع . الإيلام: الإيجاع (لسان العرب) .

(٣) أضحت: ظلت (مختار الصحاح) .

فكره دائماً مشغول في الرجوع إلى أهله .

إذا كان هذا حال الغريب ، فأي غربة أعظم من غربة الإنسان في الدنيا التي ليس له فيها خلود ، وهو فيها غريب ؛ لأن أوطانه بعيدة عنه ـ ألا وهي الجنة ـ بالإضافة إلى أن من يتحكم فيه ويسيطر على كثير من تصرفاته هم الأعداء ؛ ويقصد بهم: النفس ، والشيطان ؛ فهما قريبان منه ؛ مع أنهما من ألدّ أعدائه الذين تجب مخالفتهم لكي ينجو ويفوز: ﴿ ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾[1] أما إذا أطاعهم فإن مصيره الهلاك .

١٩٩ وَحيٍّ على رَوْضَاتها وخيامهَا
وَحيٍّ على عَيش بها لَيْسَ يُسْأمُ[2]

أقبلوا على العمل الذي إن قبله الله منكم فسوف يدخلكم ـ برحمته ـ جنات ؛ فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب ؛ قال الحق سبحانه. ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾[3] ، ويقول سبحانه: ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾[4].

وفيها من الخيام ما يعجز الوصف عنه ؛ قال تعالى: ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾[5].

روى البخاري: (٤٨٧٩) ٨/ ٦٢٤ ، ومسلم: (٢٨٣٨) ، عن عبدالله بن قيس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عَرضُها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن) .

---

(١) سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) يسأم: يمل .

(٣) سورة الشورى: ٢٢.

(٤) سورة الروم: ١٥ .

(٥) سورة الرحمن: ٧٢ .

والعيش في الجنة لا يمل ؛ روى مسلم: (٢٨٣٦) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس) ؛ أي لا يصيبه بؤس ، وإنما يعيش في نعيم مقيم دائم لا ينقطع .

٢٠٠ وَحَيٍّ على السُّوق الذي فيه يَلتَقي
المُحبُونَ ، ذاكَ السُّوق للقوم يُعْلَمُ

٢٠١ فما شئتَ خُذْ منهُ لا ثمَن لهُ
فقَدْ أسْلفَ التُّجَّارُ فيه وأسْلموا[1]

روى مسلم في صحيحه: (٢٨٣٣) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً... الحديث) .

ذكر المصنف ، رحمه الله ، في كتابه (حادي الأرواح) باباً في ذكر سوق الجنة . وذكر فيه هذا الحديث الذي رواه مسلم ، وذكر أحاديث غيره، منها:

حديث طويل يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ وفيه: (فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، فيحمل لنا ما اشتهينا ؛ ليس يباع ولا يشترى . وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً .. الحديث)؛ رواه الترمذي: (٢٥٤٩) ، وقال: هذا حديث غريب ، وابن ماجه: (٤٣٣٦) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (١٧٢٢) .

وذكر حديثاً آخر عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصُّوَرَ من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها) ؛ رواه الترمذي: (٢٥٥٠) ، وقال: هذا حديث غريب ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (١٩٨٢) .

(١) أسلف: السَّلفُ: السَّلمُ ، اسم من الإسلاف ، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردّه كما أخذه ، وكل عمل صالح قدمته . (القاموس) .

يحث المصنف، رحمه الله في هذين البيتين، على الإقبال إلى ذلك السوق الذي يقام في الجنة ، حيث يلتقي فيه الأحباب ، ويتزودون من نعم الله وعطاياه التي لا تنفذ . أما البضاعة التي فيها فليس للبيع بل هي للعرض وفيه كل ما يشتهي الإنسان، وله ان يأخذ ما أراد لأنه قد دفع الثمن مقدماً في الدنيا .

٢٠٢ وَحيَّ على يَوْم المزيد الذي به
زيارَة رَبّ العَرْش فاليومُ مَوْسمُ[(١)]

٢٠٣ وَحيَّ على وادٍ هُنَالكَ أفْيَح
وَتُربَتُهُ منْ أذفر المسْك أعظمُ[(٢)]

٢٠٤ مَنَابرُ منْ نُورٍ هُناكَ وَفضّةٍ
وَمنْ خالص العقْيان لا تَتَقصَّمُ[(٣)]

٢٠٥ وَمنْ حَولها كُثْبانُ مسْكٍ مَقاعدٌ
لمَنْ دُونهمْ، هذا العَطاءُ المفَخَّمُ[(٤)(٥)]

٢٠٦ يَرَوْنَ به الرَّحْمنَ ـ جلَّ جلالهُ ـ
كَرُؤْيَة بدر التَّمّ لا يُتَوَهَّمُ[(٦)]

٢٠٧ أو الشَّمس صحواً ليْسَ منْ دُون أفْقها
سَحَابٌ ولا غيْمٌ هُناكَ يُغيِّمُ

---

(١) موسم: مجتمع . موسم الحج: مجتمعه (القاموس المحيط) .

(٢) أفيح: واسع . الأفيح والفياح: كل موضع واسع (لسان العرب) .ويمكن ان يكون: ذو رائحة طيبة . فهو وادٍ تفوح منه رائحة المسك .

(٣) العقيان: ذهب ينبت . تتقصم: تتكسر . (القاموس) .

(٤) هذا البيت جاء في حادي الأرواح هكذا (وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً لمن دون أصحاب المنابر يعلم) .

(٥) كثبان: تلال . لمن دونهم: لمن تحتهم منزلة وأقل منهم درجة .
المفخّم: الفخم: العظيم القدر . التفخيم: التعظيم .

(٦) بدر التّمّ: القمر إذا امتلأ فبهر ، فهو بدر تام ـ (القاموس) .

ذكر المصنف، رحمه الله تعالى، يوم المزيد الذي يزور فيه أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، حيث يجمعهم في ذلك الوادي الذي تفوح منه رائحة المسك، تلك الرائحة الزكية العطرة، ويجلسهم على حسب أعمالهم؛ بعضهم على منابر من نور، وبعضهم على كثبان المسك. ثم يتجلى لهم ربهم سبحانه وتعالى فيرونه بأبصارهم رؤية واضحة لا لبس فيها ولا غموض. روى الإمام الشافعي في المسند: ص ٧٠، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢/١٥٠، وأبو يعلى في المسند: (٤٢٢٨)، عن أنس [1] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، فقلت: يا جبريل، ما هذه؟ قال: الجمعة، قال: قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير، قال: قلت: وما لنا فيها؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك .... ثم قال: ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد، قال: قلت: مم ذاك؟ قال: لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه، تبارك وتعالى، ثم حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب. ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، ثم يقول: سلوني ... الحديث).

أما رؤية الله جل وعلا؛ ففي هذا الحديث، وكذلك في قوله سبحانه: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ [2] . **وروى البخاري: (٤٨٧٨)، ومسلم: (١٨٠)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ** قال: (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن)

وروى البخاري: (٨٠٦)، ومسلم: (١٨٢)، من حديث أبي هريرة

---

(١) الحديث صححه البوصيري وأشار لجودة إسناده ابن حجر في المطالب العالية: ١٥٧/١، وسند أبي يعلى جيد (المجلة).

(٢) سورة القيامة: ٢٢ ـ ٢٣ .

رضي الله عنه ، الطويل الذي أوله: إن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ . . . فإنكم ترونه كذلك) .

وروى مسلم: (١٨١) ، عن صهيب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ) .

قال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٢٧: وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ؛ كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر . إلى آخر ما قال من الكلام ، فراجعه فإنه نفيس .

٢٠٨ فَبَيْنا هُمُ في عَيْشهمْ وَسُرُورهمْ
وأرْزاقُهم تُجْرَى عَليْهمْ وَتُقْسَمُ[١]

٢٠٩ إذا هُمْ بِنُورٍ سَاطع قدْ بدا لهمْ
وَقَدْ رَفَعُوا أبْصارَهُمْ فإذا هُمُ[٢]

٢١٠ بِربهمُ منْ فَوْقهمْ قَائلٌ لهُمْ
سَلامٌ عَليْكمْ طبْتُمُ ونعمتُمُ[٣]

(١) فبينا: بينا: مؤلفة من (بين) الظرفية الزمانية والألف الزائدة ، وتختص بالزمان (معجم الشوارد النحوية) .

(٢) ساطع: سطع: ارتفع . بدا: ظهر (القاموس المحيط) .
هذا البيت - والبيتان بعده - جاء في كتاب حادي الأرواح هكذا:

إذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السماوات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلم .

(٣) طبتم: طهرتم . نعمتم : من المسرة والفرح والترفه (النهاية في غريب الحديث) .

٢١١ يَقـولُ: سلونـي ما اشتَهَيْتُم فَكلُّ ما
تُـريـدُون عــنـدي إنَّنـي أنـا أرحَـمُ

٢١٢ فـقـالـوا جَمـيعاً نحْنُ نسْألكَ الرِّضا
فـأنـت الـذي تُـولي الجميلَ وَتَرْحَمُ[1]

٢١٣ فيُـعْـطـيـهـمُ هذا وَيُشْهدُ جَـمعَهُمْ
عَــلـيـه تــعـالـى اللهُ فـاللهُ أكــرمْ

يشـيـر إلى مـا أخـرج ابن مـاجـه: (١٨٤) ، عن جـابر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الـرب قد أشرف عليهم من فـوقهم ، فقـال: السلام عليـكم يا أهل الجنة ، قــال: وذلك قــول الله : ﴿ ســلام قــولاً من رب رحيم﴾[2]، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه . . .) .

قال البوصيري في مصباح الزجاجة: ٨٦/١: هذا إسناد ضعيف ، لضعف الفضل بن عيسى . قـال الألباني في المشكاة: (٥٦٦٤): إسناده ضعيف . وذكره في ضعيف الجامع: (٢٣٦٣) . وذكـره المنذري في الترغيب وعزاه إلى ابن أبي الدنيا . والحديث ذكـره ابن كثير في تفسيره: ٥٧٥/٣ ، من رواية ابن أبي حاتم ، وقال عنه: وفي إسناده نظر .

أما قوله: (يقـول سلوني . . .) فإنه يشير إلى الحديث المتـقدم تحت البيت رقم: (٢٠٧) ، والذي يرويه ابن أبي شـيبـة ، وفي الحديث: (ثم يتـجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ، ثم يقول: سلوني أعطكم ، قـال فيسألونه الرضا، فيقول: رضائي أحلكم داري . . . قال: فيشهدهم أنه قد رضي عنهم. . .).

٢١٤ فـبـالله ما عُـذْرُ امـرئ هُـوَ مُـؤْمنٌ
بـهــذا ولا يَـسْـعَـى لــهُ وَيقَــدّمُ

---

(١) تولي: تحب ، أي تحب أن تعطي العطاء الكثير .

(٢) يس: ٣٦ .

٢١٥ وَلكنَّما التَّوفيقُ بالله إنَّهُ
يَخُصُّ بِهِ مَنْ شاءَ فَضلاً وَيُنْعِمُ

بعد أن سمعت ما أعد الله سبحانه لأهل طاعته وأهل محبته ، من النعيم المقيم الذي يعجز الوصف عنه ، كيف لا ؟ وهو الذي لم تره العيون ، ولم تسمع به الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، أعده الله سبحانه ؛ جزاءً ، وتفضلاً ، ومنَّة منهُ ، وتكرماً ؛ لمن أحب لقاء الله ، وعمل في دار العمل ليُجزى به في دار الجزاء .

ثم يستدرك المصنف ، رحمه الله تعالى ، فيقول: (ولكنما التوفيق . . .) أي إن الله سبحانه يتكرم على عباده ويتفضل عليهم ، حيث يهيئ الأسباب التي تساعد العبد على طاعة الله . وتهيئة الأسباب هذه تأتي من الله سبحانه إذا بذل العبد أولاً من نفسه ما يؤهله لذلك ؛ فالله يقول: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[1]. فذكر سبحانه المجاهدة من العبد أولاً ، ثم ذكر هدايته له بعد ذلك .

٢١٦ فيا بائعاً هذا ببخس مُعَجَّل
كأنَّكَ لا تَدْري ، بلى سَوْف تَعلمُ[2]

مر بك ـ فيما سبق ـ ما أعد الله سبحانه لأهل طاعته من النعيم في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ، وفيها من الطيبات والثمرات والحور الحسناوات ، وغير ذلك من الملذات ، وفوق ذلك كله رؤية الخالق جل وعلا ، وسلامه وكلامه ورضوانه الأبدي .

فتجد الكثير من الناس من يبيع هذا كله ، ويزهد فيه ، ليشتري مكانه لذة فانية ، ونعيماً كاذباً يزول بعد لحظات قلائل ، فتذهب اللذة وتبقى التبعات ؛ فالذي يفعل هذا كأنه لا يعلم حقيقة الأمر ، ولكنه حتى لو تغافل في هذه الحياة الدنيا ، فإنه سوف يأتيه علم اليقين ، وتنكشف له الحقائق ، ويعرف بعد ذلك أنه قد خدع نفسه .

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩ .

(٢) بخس: الناقص القليل . معجل: العاجل نقيض الآجل (القاموس) .

٢١٧ فـقـدِّم فدَتْكَ الـنَّـفـسُ نَـفْسكَ إنَّها
هِـي الثَّـمَـنُ المبـذُول حـينَ تُـسَلـمُ

هذا الأجر العظيم الذي أعده الله لعباده ، الذي يتمناه كل مخلوق ، لا بدّ له من ثمن ؛ وثمنه هو طاعة الله سبحانه ، وطاعة رسوله ﷺ .

بعد أن عرفت أن الله سبحانه أعد لعباده الطائعين ذلك النعيم العميم المقيم، وعرفت أن التوفيق إلى العمل لا بد له من بذل جهد منك ، وأن نفسك هي أغلى شيء عندك في الحياة ؛ فابذلها رخيصة في سبيل مرضات الله ، عسى أن يتقبلها منك ، ويجعلها ثمناً لذلك النعيم ؛ يقول المولى جل في علاه: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[1].

٢١٨ وَخُضْ غَمَرات الموْت وارْقَ مَعارجَ
الـمَـحَـبَّة فـي مَـرْضـاتـهـمْ تَـتَسَنَّمُ[2]

إذا أراد الإنسان أن يجود بنفسه في سبيل الله ، فإن الشيطان يقعد له في طريقه يثبطه ويثنيه عن عزمه ، ليخذله ويصده عن طريق الخير .

فينصحك المصنف بأن تقتحم الموت؛ أي تدخل عليه بكل قوتك. فإنّ فعلك هذا هو السلم الذي تصعد به وترتقي إلى محبة الله سبحانه، وإلى مرضاته .

٢١٩ وَسَـلمْ لـهُـمْ مَـا عـاقدُوكَ عَـليْه إنْ
تُـردْ مـنْـهُـمْ أنْ يَبْذلوا وَيُسَلـمـوا[3]

إذا أردت أن يبذلوا لك ذلك النعيم ، والعيش الرغيد في جنات النعيم ، إذا أحببت أن يسلموا لك هذا فسلم أنت لهم أولاً ؛ كما أخبر المولى جل

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) خض: اقتحم . غمرات الموت: شدته ومزدحمه . رقى: صعد . معارج: المعراج: السلم والمصعد . تتسنم: ترتفع (القاموس المحيط) .

(٣) عاقدوك . العقد: الضمان والعهد .

في علاه: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[1]؛ ويقول سبحانه: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾[2].

٢٢٠ فمَا ظفرَتْ بالوصْل نفسٌ مَهينَةٌ
وَلا فازَ عَبْدٌ بالبطالة يَنْعَمُ[3]

الذي يريد الفوز والفلاح فلا بد أن يجد ويعمل لكي يحصد ما زرع . يقول الحق سبحانه: ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[4]؛ ويقول جل في علاه: ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾[5].

فهل يصح أن يتساوى إنسان طائع لله ، قد ألزم نفسه بعبادة الله في حركاته وسكناته ، همه إرضاء ربه ، يفعل ما أمِر وينزجر عمّا نُهي عنه وحذّر ـ هل يستوي هو ومن أطلق لنفسه العنان ، فهو غارق في شهواته وملذاته لا يردعه شيء ؟

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال[6]

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠ .

(٣) ظفرت: فازت بالمطلوب . الوصل: ضد الهجران (القاموس) .
مهينة: ذليلة . البطالة: التّبطل: فعل البطالة ، وهو اتباع اللهو والجهالة (لسان العرب). ينعم: التنعّم: الترفه .

(٤) سورة الزمر: ٩ .

(٥) سورة ص: ٢٨.

(٦) انظر ديوان الإمام الشافعي . تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي .

٢٢١ وإنْ تكُ قدْ عَاقتْك سُعْدَى فَقلبُكَ الـ

مُـعَـنَّـى رَهـيـنٌ فـي يَـدَيْـهَا مسلمُ[١]

٢٢٢ وَقَـدْ سَاعَدَتْ بالوَصْلِ غيْرَكَ فالهوَى

لهـا مـنـكَ وَالـوَاشى بِـهَـا يَتَـنَـعَّـمُ

يعبر المصنف ، رحمه الله ، عن الدنيا بكلمة (سعدى) فيقول: إذا كانت الدنيا قد وقفت حجر عثرة في طريقك إلى الله ، وأعاقت سيرك ، ومنعتك من العمل ومن التقرب إليه سبحانه . وقد أسرَ قلبك حبها والعمل لها ، فتركت الآخرة ونسيتها ؛ فأنت تعمل فيها وقلبك معلق بها ، ولا همَّ لك إلا هي ، بينما غيرك هو الذي يتنعم بها ، لأن من خصائص الدنيا أن تذل من أكرمها ، وترفع من أعرض عنها وتركها ؛ فأنت تكدح وتتعب ولا يأتيك منها إلا ما كتب الله لك من الرزق . وكلما كثر مال الإنسان زاد همه وكثر تعبه وأشغل نفسه بالتفكير فيه ، وكيف يحفظه وينميه . وربما يفتتن الإنسان ببهارج الدنيا وزخارفها ، فيجد نفسه أسيراً عندها . فالمصنف، رحمه الله ، يعرض لك حلاً مناسباً فيقول:

٢٢٣ فـدَعْـهَـــا وَسَـلِّ النَّفسَ عَنْهَا بجنَّةٍ

مـنَ العـلـم في رَوْضَاتها الحقُّ يَبْسمُ[٢]

اترك الدنيا وزينتها ، وحاول أن تنساها وتصبِّر نفسك عنها بغيرها . يعني: أوجد لنفسك بديلاً . والبديل واضح وجليّ ؛ ذكره من يقول الحق: ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾[٣] ؛ ألا وهي الجنة . نعم الجنة ،

---

(١) عاقتك: العَوْق: الحبس والصرف والتثبيط (القاموس) .
المعنى: العاني: الأسير . عان: خاضع ومطيع (لسان العرب) .
رهين: الرهن: ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، يعني: أن قلبك عندها موضوع مقابل ما تحصل عليه من ملذاتها .

(٢) سل النفس: سلاه وسلا عنه: نسيه (لسان العرب) .

(٣) سورة الأحزاب: ٤ .

التي مر بك النزر اليسير من وصفها ، والتي يشتاق إليها المحبون ؛ فإنهم في ضنك من العيش دونها ، لا يقر لهم قرار حتى يدخلهم الله - برحمته - فيها؛ حيث النعيم السرمدي: ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [1] ؛ بالإضافة إلى رؤية العزيز الرحيم وهو يضحك .

٢٢٤ وَقَدْ ذُلِّلتْ فيها القُطوفُ فمنْ يُرِدْ
جناها ينلهُ كيفَ شاء وَيطعَمُ[2]

الجنة دار قرار لا نصب فيها: ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾[3] ؛ فإذا أراد الإنسان أن يقطف ثمرة فإنه يقطفها وهو على هيئته ؛ قائماً ، أو جالساً ، أو مستلقياً على سريره ، من غير أن يبذل أي جهد ؛ قال سبحانه: ﴿قطوفها دانية ﴾ [4] .

٢٢٥ وَقدْ فُتحتْ أبوابُها وَتزَيَّنَتْ
لخطابها فالحُسْنُ فيها مُقسَّمُ

٢٢٦ وَقدْ طابَ منْهَا نُزلها وَنزيلها
فطوبى لمنْ حلوا بها وَتَنعَّموا[5]

قال الحق سبحانه: ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ﴾[6]

---

(١) سورة الحجر: ٤٨ .

(٢) ذللت: دليت أو سويت . قطوف: القطف: العنقود .
جناها: التقط الثمر أو قطفه من الشجر (القاموس) .

(٣) سورة الحجر: ٤٨ .

(٤) سورة الحاقة: ٢٣ .

(٥) طاب: لذّ وزكى . نزلها: النزْل: ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه . نزيلها: النزيل: الضيف (مختار الصحاح) .
طوبى: الطيب ، وجمع الطيبة ، والحسنى ، وشجرة في الجنة (القاموس) .
حلوا: حل: نزل .

(٦) سورة الزمر: ٧٣ .

الجنة خلقها الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق ، فهي الآن موجودة، وقد دخلها النبي ﷺ ، ورأى قصر عمر ، وسمع صوت مشي بلال ، ورأى الرميصاء (أم سليم) ، وغيرهم رضي الله عنهم . فهي جاهزة ومعدة لمن يدفع مهرها . ومع أن مهرها يسير لأنه ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[1] ، فمن الممكن لكل إنسان أن يعمل لها ، لكنها حفت بالمكاره. أما المشمرون ؛ فإنهم جعلوها غايتهم ، فلا يصرفهم عنها صارف. فهي طيبة وأعدت لكل طيب ، فمن طيب نفسه في الدنيا وأكرمها وطهرها من الرذائل ، فطوبى له ، وهو فيها طيب مطيب .

٢٢٧ أقامَ على أبوابها داعي الهُدى
هلمُّوا إلى دار السَّعادَة تغنَموا[2]

الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق لم يتركهم ، وإنما أرسل لهم الرسل؛ يدلونهم على الخير ، ويرشدونهم إلى الحق ، ويحذرونهم طرق الضلال . فكل رسول هو داعي هدى إلى قومه ؛ فمن أطاعه فاز وغنم ونال السعادة الأبدية ، وأما من كذبه وأعرض عنه فمآله إلى دار الشقاء . روى البخاري: (٦٤٨٣) ، ومسلم: (٢٢٨٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدوابّ التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهنّ ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها).

٢٢٨ وَقَدْ غَرَسَ الرَّحْمنُ فيها غراسَه
منَ النَّاس والرَّحمنُ بالخلق أعْلَمُ[3]

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦ .

(٢) أقام: أقام الشيء أي أدامه (مختار الصحاح) ، يعني أنه جعل منادياً دائماً يدعو إليها . داعي الهدى: النبي . هلموا: تعالوا .

(٣) غِراسه: ما يغرس من الشجر . والمراد هنا: الذين خلقهم الله للجنة . محتم: واجب ولازم ، قضاء .

٢٢٩ وَمَــــنْ يَغرس الرَّحــمنُ فيــهَا فــإنَّهُ
سعيدٌ وإلا فالشقاءُ مُحتَّمُ

روى البخاري: (٤٨٥٠) ومسلم: (٢٨٤٦) (٣٦) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال النبي ﷺ: (تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار: إنما أنت عذابٌ أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منهما[1] ملؤها ؛ فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله ، فتقول: قط ، قط ، قط ؛ فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض . ولا يظلم الله عز وجلّ من خلقه أحدا . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً) .

والشاهد من الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام: (وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً) ؛ فالذي يكتب الله له أنه من أهل الجنة فإن السعادة الأبدية تلازمه ؛ وأما من كان من أصحاب النار فإنه سوف يشقى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾[2]

---

(١) هذه رواية البخاري ، أما رواية مسلم (منكما) .

(٢) سورة فاطر: ٣٦ .